

محاضرات وكلمات توجيهية

تم تحميل هذه المادة من موقع:

الأستاذ الدكتور سليمان بن قاسم العيد

<http://fac.ksu.edu.sa/saleid1>

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج الخلاف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

تعريف الخلاف

الاختلاف والمخالفة أن ينهج الشخص طريقاً مغايراً للآخر في قول أو فعل ، وقد يكون الاختلاف اختلاف تنوع أو اختلاف ضد . وعلى هذا فإن (الاختلاف أو الخلاف) يراد به مطلق المغايرة في القول أو العمل أو الحالة أو الموقف .

الأصل الاجتماع وتجنب الخلاف

إن من الحكم الظاهرة في وجود ولي أمر للمسلمين هو أن يكونوا جماعة واحدة متعاونة متآلفة، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، ولذا فقد جاءت النصوص الشرعية تؤكد على هذا الاجتماع وتحذر من الفرقة والخروج عن الجماعة، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية»^(١) . وفي رواية «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٢) .

قال ابن أبي جمره: «المراد بالمفارقة السعي في حل عقد البيعة التي حصلت لذلك الأمير، ولو بأدنى شيء، فكفى عنها بمقدار الشبر، لأن الأخذ في ذلك يؤول إلى سفك الدماء بغير حق»^(٣) .

ومعنى (مات ميتة جاهلية) أي كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافراً، بل يموت عاصياً. ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره، ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي، وإن لم يكن هو جاهلياً، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد.^(٤)

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية، ومن قتل تحت راية عمية يغضب للعصبة ويقاتل للعصبة

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الفتن، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) : سترون ... ، رقم ٧٠٥٤ .

(٢) رواه البخاري أيضاً ، نفس الكتاب والباب ، رقم ٧٠٥٣ .

(٣) فتح الباري، ابن حجر ٧/١٣ .

(٤) نفس المرجع .

فليس من أمتي، ومن خرج من أمتي على أمتي يضرب برها وفاجرهما لا يتحاش من مؤمنها ولا يفي
بذي عهدا فليس مني»^(٥).

كما جاء التوجيه بالاعتزال في حال إذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام ، كما جاء في
حديث أبي إدريس الخولاني حين أوصاه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قائلاً «تلتزم جماعة
المسلمين وإمامهم» فسأل قائلاً : فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال : «تعتزل تلك الفرق
كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة ، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(٦) .
قال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)

قال تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب
عظيم) [آل عمران ، ١٠٦] .

الخلاف من طبيعة البشرية

١ اختلفت الملائكة : عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن
كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه
فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سأل عن
أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن
يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا
ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فأنطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت
ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما
بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد - فقبضته
ملائكة الرحمة " أخرجه مسلم .

(٥) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ، رقم ١٨٤٨ .

(٦) رواه مسلم أيضاً في نفس الموضع.

إذا فالخالف من طبيعة البشر قال تعالى : (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالوا مختلفين. إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) [هود، ١١٧، ١٨].

بب اختلف داود وسليمان في الحكم على الغنم التي نفشت في حرث القوم (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان) . حيث حكم داود بأن الغنم تكون لصاحب الحرث ، وحكم سليمان بأن ينتفع صاحب الحرث بالغنم ، ويقوم أهل الغنم بإصلاح الحرث فإذا عاد إلى حاله ترادا .

بت وكذلك في مسألة المرأتين : عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فجعل الفراش وهذه الدواب تقع في النار وقال كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكمتا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرته فقال اتتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى أخرجته البخاري .

ت اختلف موسى والخضر عليهما السلام .

ج اختلف الصحابة (رضي الله عنهم) في مسألة الخلافة بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . جج اختلف الصحابة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فأدرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم لا نصلي حتى نأتيها وقال بعضهم بل نصلي لم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدا منهم " . أخرجته البخاري وغيره .

لقد خلق الله الخلق بصور مختلفة والوان مختلفة وأحجام فسبحان من أعطى كل شيء خلقه ثم هدى .

أدب الخلاف

١ . الحرص على عدم الخلاف قدر الإمكان .

٢. رد المختلف فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) . (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) فأمر أولي الأمر برد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إذا كانت العامة ومن ليس من أهل العلم ليست هذه منزلتهم لأنهم لا يعرفون كيفية الرد إلى كتاب الله والسنة ووجوه دلائلها على أحكام الحوادث فثبت أنه خطاب للعلماء .

٣. عدم التعنيف والتجريح كان الاختلاف موجوداً في القرون المفضلة فلم يكن أحد منهم على يعنف على الآخر أو يلزمه باتباع رأيه .

٤. من أدب الاختلاف التنازل احترام الراي الآخر ، كان الإمام أحمد يرى نقض الوضوء من الرعاف ، فقليل له : هل تصلي خلف من خرج منه الدم ولم يتوضأ ؟ فأجاب مستنكراً : كيف لا أصلي خلف مالك وسعيد بن المسيب ؟ (وكانا لا يريان النقض بذلك) .

٥. وموقف لأحمد وأسحاق وعبدالرزاق حينما خرجوا إلى مصلى عيد الفطر ولم يكبروا فلما رجعوا قال عبدالرزاق لأحمد وإسحاق : ((رأيت اليوم منكما شيئاً عجيباً ! لم تكبرا . قالوا : يا أبا بكر : نحن ننظر إليك هل تكبر ، فلما رأيناك لم تكبر أمسكنا ، قال وأنا كنت أنظر إليكما .

٦. الاستعداد قبول الراي الآخر ، وتقبل النصح .

٧. سلامة الصدور : دخل ضرار بن ضمرة الكنايني على معاوية فقال له صف لي عليا فقال أو تعفيني يا أمير المؤمنين قال لا أعفيك قال أما إذ لا بد فإنه كان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما جشب كان والله كأحدنا يدنينا إذا أتيناه ويحيينا إذا سألناه وكان مع تقربه إلينا وقربه منا لا نكلمه هيبة له فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله فأشهد بالله لقد رأيت في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه بميل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تملل السليم

ويكي بكاء الحزين فكأني أسمع الآن وهو يقول يا ربنا يا ربنا يتضرع اليه ثم يقول للدنيا
إلي تغررت إلي تشوفت هيهات هيهات غري غري قد بتتك ثلاثا فعمرك قصير
ومجلسك حقير وخطرك يسير آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فوكفت
دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء فقال
كذا كان أبو الحسن رحمه الله كيف وجدك عليه يا ضرار قال وجد من ذبح واحدا
في حجرها لا ترقأ دمعتها ولا يسكن حزنها ثم قام فخرج .

كيف نستثمر الخلاف

١. وفي المقابل فإن الأعداد يستثرون الخلاف بين المسلمين لبث الفرقة وزرع الشقاق بين المسلمين
٢. الاختلاف يشري العلم ، وذلك في جانب الاختلاف المحمود في الفرعيات كالمسئل
الفقهية ، لأن من يرى قولاً في هذه المسألة فهو يسعى إلى تمحيصه وتدقيقه والاستدلال
عليه وتأصيله وتقعيده ، ولذلك نرى الآن الآن تراثاً ضخماً من العلم بسبب لاختلاف
في بعض المسائل ، فهناك ما يسمى بالفقه الحنفي ، والفقه المالكي ، والفقه الشافعي ،
والفقه الحنبلي ونحو ذلك .
٣. تعليم الجاهل ، فيه قصة الحسن والحسين .
٤. التدرب على الحوار ومعرفة النفس .
٥. اغتنام عبودية الإصلاح : قول الله تعالى (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة
أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجراً
عظيماً) .
٦. وخروج الإمام إلى المواضع ليصلح بين الناس بأصحابه عن سهل بن سعد رضي الله عنه
أن أناساً من بني عمرو بن عوف كان بينهم شيء فخرج إليهم النبي صلى الله عليه
وسلم في أناس من أصحابه يصلح بينهم أخرجه البخاري .
٧. معرفة الأخلاق .

٨. التعرف على جميع الاحتمالات التي تحملها المسألة المختلف فيها .
٩. رياضة الأذهان ففيه تتلاقح الآراء وتفتح مجالات للتفكير .
١٠. تعدد الحلول أمام المختلفين للوصول إلى الحل المناسب .